فتغنشتاين والتفلسف باعتباره تمرينًا روحيًّا

الحسين أخدوش

«ينبغي أن نتساءل عندما نتحدّث عن الفلسفة: بماذا يتعلّق الأمر بالضبط؟»
Luc Ferry

ملخّص الورقة

نسعى في هذه الورقة إلى إبراز نوع من التفكير لدى «لودفيغ فتغنشتاين»، يختصّ بعدّه التفلسفَ تمرينًا روحيًّا. وللتدليل على هذه الدعوى اعتمدنا أطروحة المفكّر الفرنسي «بيير هادو» في قراءته فكرِ هذا الفيلسوف المنطقي المعاصر. وقد حاولنا من جهتنا إظهارَ تجليات التمارين الروحية لدى «فتغنشتاين» من خلال الوقوف على أهم نصوصه الفلسفية، خاصّة "يوميات 1914-1916"، وكتابه العمدة "رسالة منطقية فلسفية"، إضافة إلى أعماله المتأخرة المنشورة تحت عنوان: "أبحاث فلسفية".

كلمات مفتاحية:

المنطق، الفلسفة، الحياة، حياة الفيلسوف، العيش، نمط العيش، صورة الحياة، التمرين الفلسفي، التمارين الروحية، التصوف، الأخلاق، الدين، الذات، الموت...الخ

تقديم الورقة:

ما يُثير انتباهُنا، كلَّ مرّة، ونحن نتحدّث عن التفلسف ليس كوننا نشكّ في أنّ عددًا كبيرًا من الناس يهتمون بمسائلها، وإنّما طبيعة هذا الاهتمام ذاته. فالاستمتاع بشراء بضعة كتب، والذهاب للخِزانة أو للمقهى للقراءة، والتحدّث مع الأصدقاء بفرح عن السعادة والحرية والأمل، كلّه ينتهي بالإحساس بخيبة أمل وأنت تقرأ عملًا فلسفيًّا كبيرًا ككتاب: "رسالة منطقية فلسفية" للفيلسوف لودفيج فتغنشتاين.

في الواقع من الصعب أن يقرأ المرءُ مؤلّفاتِ كبار الفلاسفة: أرسطو (Aristote)، سبينوزا (Spinoza)، هيغل (Hegel)، كانط (Kant)، فتغنشتاين (Wittgenstein)، دون أن يكون لديه تكوينٌ عميق

جيّد وقوي، ومن الوهم أن نظنّ ذلك لن يتطلّب سنوات عديدة من القراءة والبحث والاشتغال؛ لكن بالمقابل يمكن القول، كذلك، إنّ سعة اطلاع المرء لا فائدة ترجى منها لأنّها مسألة ضد حرية التفكير والتبصّر والتأمل الذاتي. من دون شك، فإنّ هذا هو الهدف النهائي للتفلسف؛ أي الوصول إلى حكمة شخصية عن تجربة ذاتية؛ لكن يجب أوّلًا أن يحصل هنالك تواضعٌ في التفكير، وإلاّ فمثلما يقال عادة: "لا يمكننا تعلّم كيف نتفلسف دون أن نتعلّم كثيرًا من الحكمة.

لكن، لمّا كان هذا الأمر صعبًا نوعًا ما، ويتطلّب وقتًا وجهدًا؛ فإنّه وحتى لا نصابَ بالإحباط الكلّي، يمكننا على خلاف ذلك، القول إنّ تعلّم التفلسف إنّما هو مثل تعلّم آلة موسيقية؛ حيث ينبغي أن يكون لدى الإنسان حماسٌ في البداية وصبرٌ وتمرّنٌ فيما بعد حتى يواصل المسير، وهذه كلُّها أشياء ضرورية للفلسفة؛ ولذلك، من الضروري أن نكون قادرين على القول لأولئك الذين يحاولون المغامرة بفكرهم من أجل الفلسفة كلّ ما من شأنه أن يمكّنهم من أن يكملوا فيها[1].

التفلسف، إذًا، مران وممارسة فكرية وعملية؛ ولقد شكلت تجربةُ فتغنشتاين لها تمرينًا روحيًّا مثيرًا للقراء والمهتمين والدارسين للفكر الفلسفي المعاصر (القرن العشرين)[2]. فلقد ألهم بتوجهاته الخاصّة في التفلسف، وفي نمط حياته الفكرية التي تنفرد عن معتاد فلاسفة عصره الذين ارتأوا التعاطي للفلسفة من مدخل أكاديمي، الكثيرَ من المهتمين والمشتغلين بالفلسفة المعاصرة، وعلى رأسهم "بيير هادو" و"جون أوستين" و"جون سورل" و"جاك بوفريس" وآخرون.

استشكال الموضوع:

لاستشكال هذا الموضوع يلزمنا التذكيرُ بأنّ اعتبار الفلسفة تمرينًا روحيًّا ليس أمرًا مستجدًّا في تاريخ الفلسفة؛ بل كان تقليدًا سائدًا لدى الحكماء القدامى، خاصّة لدى الحكماء اليونان الأوائل: (الرواقيين، الكلبيين، الأبيقوريين..الخ). وإذا كان التقليد الفلسفي الرسمي (بتعبير ميشال أونفراي) قد تصور الفلسفة بوصفها ممارسةً نظريةً ميتافيزيقية تروم بناءَ تصوراتٍ وتشييدَ أنساق وبناءَ المفاهيم المجردة كما اعتقد التقليد الأكاديمي والكلاسيكي، فإنّ الأفق الذي وضع فيه فتغنشتاين ممارسة الفلسفة ينهض باجتراح طريق جديدة في التفكير تأخذ بالاعتبار زيفَ التقابل بين الحكمة النظرية والعملية.

---

[1] Luc Ferry: La sagesse des Modernes : Dix questions pour notre temps ; éd Robert Laffont, S,A ; Paris, 1998, p.521.

[2] لم يكن فتغنشتاين من هذا الطراز من المتفلسفة الذين يستهويهم لقب أستاذ الفلسفة بالجامعة؛ بل كان بخلافهم زاهدًا في لقب الأستاذية، كما زهد في ثروة أبيه وآثر حياة العزلة والتصوّف بعيدًا عن الأضواء في معظم الأوقات. لقد أظهر ما يمكن قوله لا من أجل التباهي به أمام الآخرين؛ لكن، وفقط، لأجل احترام ما لا يمكن قوله. بهذا الأسلوب الخاص جدًّا في التفكير، أدرك الطبيعة الشاعرية للفكر ولامس الطابَع الصوفي للأفكار، ولهذا السبب كان متميزًا عن معاصريه وزملائه سواء في فيينا أو في كامبريدج.

لقد تحوّل دور الفلسفة مع نموذج فتغنشتاين متخذًا صيغة التمرين الروحي؛ بحيث تمكّن الفاعلية الفكرية من فتح آفاق روحية وجمالية تساعد المفكّر الحكيم على تخفيف وقع ألم الحياة عليه، ومن ثمّ إمكانية استبعاد كلّ ما من شأنه أن يكدّر عليه راحته وسعادته[3]. وقد انتبه المفكّر الفرنسي المعاصر "بيير هادو" إلى هذه المسألة لدى فتغنشتاين، مذكِّرًا بأنّه كان نموذجًا للفلاسفة المعاصرين الذين خطّوا خيطًا فاصلًا بين التقليدِ الأكاديمي الشائع في الأوساط الجامعية في الغرب ونمطٍ مختلفٍ يتمثّل في التعاطي للتفلسف باعتباره تمرينًا روحيًّا.

الظاهر، إذًا، أنّ الفلسفة في نموذج فتغنشتاين لم تعد مجرّد عرض أكاديمي لنسقٍ مذهبيٍّ معيّن؛ بل هي تمرينٌ فكريٌّ / روحيٌّ يشحذ فاعليةً فكريةً لتحليل الأفكار وتنظيمها. تطرح، هنا، جملةً من التساؤلات، خاصّة التي تتعلّق منها بطبيعة ممارسة التفلسف ودواعيها ومظاهرها بوصفها نمطًا من التمارين الروحية. ويمكننا التعبير عنها بالأسئلة الآتية:

بماذا تنفرد طريقة فتغنشتاين في التعاطي للفلسفة عن غيرها من الطرق التي كانت سائدة في زمنه؟ هل يمكن عَدُّ ما هو فكري لديه تصريحًا بما هو شخصي وفقًا لتصوّر نتشوي قبله؟ وإلى أيّ حدّ تعد ممارسته للفلسفة تمرينًا روحيًّا على حدّ قول بيير هادو؟ هل يمكن تبرير نهجه ذاك بوصفه نوعًا من تفلسفٍ مضادٍ للفلسفة كما وصفه الان باديو فيما بعد؟ بأيّ معنى يمكن عَدُّ الفلسفة تمارينَ روحيةً لدى فتغنشتاين؟ وما حدود هذه الفرضية التأويلية؟

١- الفلسفة باعتبارها نمط عيش الحياة:

توجد في العديد من أقوال فتجينشتين، سواء "اليوميات" أو في "الرسالة" والنصوص الأخرى، تصريحاتٌ وتلميحاتٌ مختلفة تشي باعتبار الفلسفة نوعًا من التمارين الروحية. هكذا، نجده يقول في فقرة من الرسالة يصف الفلسفة بكونها ليست مذهبًا ولكن فاعلية[4]. كذلك، يشير في تصريح آخر إلى اعتبار الفلسفة تمرينًا على الإيضاحِ وتحريرِ ذكاء الإنسان من الألغاز التي توقعه فيها الميتافيزيقا، معتبرًا

---

[3] يقول لوك فيري: "إنّه غالبًا ما يصرّح بأنّ الفلسفة لا تعد مجرد خطاب عند القدماء؛ بل نمط حياة، فكما أنها ليست مجرّد نظام فكري أو مجرد نظرية؛ فلذلك هي حكمة تنهج ويُعمل بها. إنّنا سعداء أن نقدّم سقراط (Socrate) على سبيل المثال، باعتباره ذلك الذي لم يكتب شيئًا إطلاقًا مثلما فعل بوذا، وكذا المسيح. حقّا تبدو الفلسفة المعاصرة مناقضة لمثل هذه الرؤية للعالم، فهي بشكل طوعي متخصصة في مجالات معينة من المعرفة: (نظرية المعرفة، فلسفة الحق، فلسفة الأخلاق، فلسفة السياسة، فلسفة اللغة، تاريخ الأفكار... الخ). لقد أصبحت بالضرورة مادة مدرسية، أو جامعية تدرس مثل المواد الأخرى". انظر بهذا الخصوص:

- Luc Ferry: La sagesse des Modernes. Op., cit, p.522.

[4] Wittgenstein Ludwig: Tractatus logico-philosophicus; tr G. G. Granger, éd Gallimard, coll (tell), Paris, 1993, p.57.

الفلسفة نضالًا ضدّ الطريقة التي تعمل بها اللغة على سحْر ذكائنا[5]. كما يؤكّد أنّ الذي لا نقدر على التفكير فيه، لا نستطيع اتخاذه موضوعًا لتفكيرنا، وبالتالي لا نقدر التعبير عنه ونكتفي بإظهاره فقط[6].

يُظهر هذا التوجّه لدى فتغنشتاين سعيًا قويًّا إلى عدم جعْل فلسفتِه نمطيةً على الطراز السائد في العصر الحديث؛ أي بوصفها مذهبًا فكريًّا بمفاهيم نظرية ومقولات تركيبية ونسق مغلق. وإنما حاول أن يرتضيَ لنفسه نهجًا مخالفًا سلك فيه توجّهًا صوفيًّا وشعريًّا بنهجه أسلوب التأمل الحِكَمِي الذي يكثّف معانيَ الكلمات، ويختزل الفقراتِ في عددٍ قليل من الكلمات والجمل[7].

يعكس هذا الأسلوب لديه نزوعًا إلى اعتبار التفلسف تمرينًا روحيًّا أكثر منها تنظيرًا أكاديميًّا كما هو معمول به في التقليد الفكري الحديث. بلور لديه هذا الأمر توجّهًا فكريًّا صوفيًّا في النظر والعمل معًا؛ حيث عكست طريقة كتابته الشذرية نزوعًا لاختصار المصحوب بالوضوح والاكتفاء بالإظهار في الحالات التي لا يمكن للغة أن تسعف على القول. وقد حضر هذا المنزع لديه في الرسالة (الكتاب الوحيد الذي نشره)، وكذلك في كتابه "الأبحاث الفلسفية" الذي نُشر بعد موته في مرحلة موالية لمرحلة الرسالة[8].

يكاد يتفق فتغنشتاين في هذا التوجّه الفكري الحِكَمي والصوفي مع نماذج الحكماء الإغريق، تحديدًا مع سقراط في اعتبار الفلسفة نوعًا من ممارسة الصدق مع الذات ونضالًا من أجل الموت. ففي فقرات من يومياته نصادف لديه مجموعةً من "اللمع"[9] التي تكشف بوضوح أنّ الصعوبة في الفلسفة تكمن في الإرادة وليس في الفكر والنظر، وربما يتعلّق هذا الأمرُ عنده بمسألة الاعتراف ومدى قدرة الذات على تحمّل مآسي العالم؛ وهذه مسألة أخلاقية وعملية ودينية أكثرُ منها مشكلة نظرية أو عقلية.

لم تكن البصيرة والذكاء يعوزان فتغنشتاين لإدراك موقع إخفاقاته وتحديدها ومعالجتها؛ بل كان يدرك صعوبة التخلّص من زيف الشخصية والوقوف على حقيقة الذات. لقد كانت الصعوبة التي تواجهه، كما أشار «راش ريز»، تكمن في محاولة وصوله إلى شخصيته الحقيقيّة والتخلص من زيفها[10]؛

---

[5] Ibid, p.58.

[6] Ibid, p.112.

[7] Christiane Chauviré : Le vocabulaire de Wittgenstein. Ed ellipses, coll dirigée par J.P. Zarder ; 2015, p.43.

[8] أورد المتخصّص في نصوص فتغنشتاين "راي مونك (Ray Monk) كيف اشتطّ فتغنشتاين غضبًا من أستاذه "جورج مور" عندما عَدَّ الرفض الذي قوبلت به كتابته في كامبريدج، في البداية، يعود إلى أسلوبه وطريقته في الكتابة التي لا تحترم المعايير الأكاديمية الشكلية. انظر بهذا الخصوص:

- Ray Monk : Wittgenstein, le devoir de génie. Traduction Abel Gerschenfeld, éd Flammarion, Paris, 2009, p.109.

[9] Wittgenstein Ludwig: Les carnets1914-1916. Op., cit,, p.139-140-141.

[10] Soulez Antonia: Comment écrivent les philosophes ?(de Kant à Wittgenstein). Ed Kimé, Paris, 2003, p.103.

ولذلك كان الاعترافُ بالخطأ لديه ليس ما يشكِّل مصدرَ قلق فتغنشتاين الرئيس، وإنّما كانت مخاوفه تنبع من عدم قدرته على الخروج من ذاته المزيفة[11].

كان فتغنشتاين قاسيًا وحازمًا معَ نفسه، وكانت مطالبُه مع نفسه عاليةً وانتظاراتُه من إرادته صعبةً. خلال اعترافه لفانيا باسكال قالت له: "ما هذا؟ هل تريد أن تكون مثاليًّا؟"، فأجاب بفخر: بالطبع أريد أن أكون مثاليًّا! لقد رأى فتغنشتاين الفلسفةَ بطريقة زهدية، حيثُ الفلسفة هي عمل على الذات؛ وقد عبّر في كثير من المواقع على أنَّه يريد التخلص من ذاته المزيفة، ليقوده ذلك إلى حياة جديدة[12]. كان هدفه من ذلك، ربمّا، أن يكون شخصًا سعيدًا ما دام عالمُ الشخص السعيد مختلفًا عن عالم المرء التعيس[13].

تأثر فتغنشتاين بتولستوي ودوستويفسكي من خلال مسألة الاعتراف ومواجهة المرء لنفسه وذاته لتقويتها وتهذيبها والكف عن الشعور بالذنوب[14]. وتعود رغبته هذه في تحسين ذاته وتهذيبها إلى أيام عمله في الجيش؛ حيث كان يُعَرِّض نفسه لمواقف شديدة، وينخرط بالأنشطة التي تدفعه لمواجهة نفسه وفَهمها باعتبارها مواقفَ تحتاج إلى كثير من الشجاعة[15].

لقد طلب فتغنشتاين، مثلًا، في عام 1916 أحد أكثر الأدوار خطورة في الجيش، ألا وهو الوجود في موقع المراقبة الأمامية، وتطلب منه ذلك شجاعةً كبيرة وانضباطًا ذاتيًّا شديدًا، وهما معياران لتهذيب الذات والتخلص من خِداعها[16]. كان في الحرب يستمتع بمعرفة أنَّه في كل ليلة كان يحظى بفرصةٍ جيدة للموت، كان الموت هو ما يعطي للحياة معناها بالنسبة إليه؛ ولهذا يصعب التعامل مع فكره في استقلالية عن شخصيته؛ وقد لمس تلاميذه هذا الجانبَ الغامض من شخصيته. هناك أمر واحد يمكننا فَهمه لديه وملامسته بقوة، هو تَوْقُه لتغيير نفسه؛ ولذلك رأى في الاعتراف وسيلةً لتحقيق هذا[17].

كتب فتغنشتاين في عام 1938 أنّه لا يوجد ما هو صعب أكثر من تجنّب خداع النفس لنفسها؛ حيثُ كانت رؤيته لذاته غير مستقرّة، معتبرًا الوصول إلى كشف حقيقة ذاته ربما هو أمر صعب ما دام

[11] Wittgenstein Ludwig: Les carnets1914-1916. Op., cit,, p.150.

[12] Ibid, pp.148-149.

[13] Wittgenstein Ludwig: Tractatus logico- philosophicus. Op., cit,, p.110.

[14] Wittgenstein Ludwig: Les carnets1914-1916. Op., cit, p.140.

[15] Archana Barua, « Wittgenstein, Language-Games, and Religion » ; http://wittgensteinrepository.org/agora-alws/article/view/2459/2642.

[16] Wittgenstein Ludwig : Les carnets1914-1916. Op., cit, p.141.

[17] Ibid, pp.146-147.

يمكنها مخادعتنا كلّ مرّة، وكان في هذا التوجّه مثلَ نيتشه الذي ناضل فكريًّا للتوافق مع ذاته[18]. انعكس هذا الأمر على ممارسة التفلسف الذي اتخذ معه شكلًا من أشكال البحث عن العلاج، وهذا ما نصادفه لديه عندما يصرّح بأنّ كلمة "فلسفة" ينبغي أن تكون شيئًا يقع إمّا فوق العلوم الطبيعية أو أسفلها؛ لكن ليس بجوارها[19].

البيّن من هذا القول: إنّ التفلسف ليس ممارسةً علمية ولا هو ممارسة مجاورة أو قريبة من الممارسة العلمية، وإنّما نمطُ حياة يقترن فيه التأمل الفكري بالتصوّف[20]؛ لذا خرجت الفلسفة لدى فتغنشتاين عن طابَع البحث والاشتغال الأكاديمي؛ لتصبح أسلوبًا في العيش. لقد أراد إظهارَ ما لا يمكن قوله، فأدرك الطبيعة الشعرية للفكر الفلسفي، وهذا ما جعله متميزًا عن معاصريه من فلاسفة القرن العشرين.

٢- الفلسفة باعتبارها تصريحًا بحياة الفيلسوف:

لم ينعكس تصوّر فتغنشتاين للفلسفة على أسلوب كتابته فقط، وإنّما طال أيضًا، وهذا هو الأهم بالنسبة لنا، تصوّرَه للحياة ولكيفية التعاطي مع مجرياتها، وذلك ما يظهر من خلال العديد من الأقوال المختلفة التي تؤكّد سعيه لإعادة الاعتبار للفلسفة بوصفها نمطًا للعيش وليس فقط بوصفها نظريةً وأفكارًا خالصة. فقد بحث عن السكينة والزهد من خلال عزلته وانصرافه إلى الاهتمام بالأشياء الصغيرة (كما كان يدعو نيتشه قبله).

انصرف تفكيره إلى ربط الفلسفة بالحياة، ولم يهتم بأمر التأليف كما هو معتاد عند الفلاسفة الآخرين. آثر نوعًا آخر من الحياة، تلك الخالية من كثرة العلاقات والالتزامات الشخصية والأكاديمية، حتى أنّه لم يكن يحبّ فكرة التلمذة الفلسفية، كما عاشها غادامير مع أستاذه هيدغر مثلًا، وإنّما ارتأى أن يعيش تصوّفًا فكريًّا عمليًّا بوصفه تمرينًا روحيًّا. ولعلّ ما ينبغي الإشارة إليه هو أنّ فتغنشتاين لم يكن متدينًا بالمعنى الشعائري للتدين، غير أنّه لم يكن يمنع ذاته من أن ينظر إلى الأشياء والأمور بنظرة دينية صوفية؛ ذلك أنّ فَهمه للمعاناة، وبعض مشكلات الحياة، جعلتْه يتعجب من وجود هذا العالم.

تُرجمت هذه الميول لدى فتجينشتين بتركه للعمل الأكاديمي جانبًا بعد استقالته من التدريس بالجامعة بوصفه أستاذًا للفلسفة[21]. فما يمكن أن يكون موضوع المساءلة بالنسبة له بوصفه مفكّرًا

[18] Erich Heller; « Wittgenstein and Nietzsche », in: Portraits of Wittgenstein; volume 4, Edited and Introduced by F.A. Flowers, Published by Thoemmes press, 1999, p.p.166-176.

[19] Wittgenstein Ludwig: Tractatus logico- philosophicus. Op., cit, p.57.

[20] Wittgenstein Ludwig : Les carnets1914-1916. Tr G.G. Granger, éd Gallimard, coll « tel », Paris, 1983, p.170.

[21] Xavier Pavie : Exercices spirituels ; leçons de la philosophie contemporaine. Ed les Belles lettres, Paris, 2013, p.102.

منفردًا بطريقته في التفكير ليس هو المعرفة الفلسفية، وإنّما هو ذلك الثمن الشخصي الذي يمكن أن يدفعه مقابل ما يعتقد بأنّه قدرته على التعبير والقول. إنّ الفلسفة، هنا، لا يمكنها أن تكون، في النهاية، سوى طريقة في التعبير عن تجربة إنسانية يمكن أن تكون نموذجية.

هذا ما كان فتغنشتاين يودّ قوله في الرسالة بشكل أو بآخر[22]. وقد يكون وراء ذلك فكرته عن الحياة السعيدة التي تنبني على الخفّة والرشاقة في كلِّ شيء، في اللغة والفكر والعلاقات الإنسانية والثروة والجاه. وبعيدًا عن الاجترار المعرفي والتوصيف المعد سلفًا لحياة سعيدة، يقترح فتغنشتاين تصوّرًا خاصًّا للتفكيرِ سبيلُهُ التوليفُ بين الأفكار والحياة والتصوّف. وبهذا الخصوص، يقول جاك بوفريس إنّ الرجل السعيد، بالنسبة للفيلسوف فتغنشتاين، هو ذاك الذي نجح في أن يستطيع العيش بمعزل عن أيّ قانون، أي في نوع من عدم الاكتراث الأخلاقي[23].

كيف لا وهو الذي كان لا يتوانى عن الدعوة إلى أن نكون فرحين بصيغة الأمر عندما يقول "كن سعيدًا" (Soyez heureux !)،[24] معتبرًا "عالم الإنسان السعيد هو عالم آخر مخالف للإنسان الشقي"[25] .تحضر الجوانبُ الإنسانيةُ بقوة، إذًا، في فلسفة فتغنشتاين، حتى أنّ أفكاره ترتبط إلى حدٍّ كبيرٍ بنمط حياته وعيشه على عكس الفلسفة التي تعتمد التجريدَ والصياغةَ المفهومية التركيبية؛ لذا تنفر فلسفته من كلّ تجريد، كما يستبعد ما لا علاقة له بالحياة، مناضلًا ضد المثالية الذائعة في الفكري الغربي، محاولًا ربط الفلسفة بالحياة[26].

وتجسيدًا لهذا النمط في التفلسف، انفرد فتغنشتاين بأسلوب خاص في التفكير والكتابة أقرب إلى نمط الحكماء الكلاسيكيين الذين اتخذوا الفلسفة تمرينًا روحيًّا لعلاج النفس ومداواتها من قلقها الوجودي. وقد ارتأى أن لا يجعل فكرَه تابعًا لأحد، فقلّل من الإحالة إلى تاريخ الفلسفة، وكان نفورُه من أساتذة الفلسفة وأكاديميها ملحوظًا؛ حيث كان يرى في ممارستهم خنقًا للفكر الحرّ والأصيل.

أتمم فتغنشتاين منطقيًّا ما نصّ عليه نيتشه أنطولوجيًّا، فدعَّمه وقرّره من خلال اعتبار التفلسف تمرينًا فكريًّا، أو بتعبيره الخاص "صورة الحياة" (Lebensform) التي علينا اعتبارها لغويًّا فيما يطلق عليه "ألعاب اللغة" (Sprachspiel)؛ حيث يمكن ممارسة فعل التفلسف من خلالها على أرضية

[22] Bouveresse Jacques: Wittgenstein; la rime et la raison. Ed de Minuit, Paris, 1973, p.74.

[23] Ibid, p.103.

[24] Wittgenstein Ludwig : Les carnets1914-1916. Op., cit, p.147.

[25] Ibidem,

[26] Ibid, p.153.

المشكلات الواقعية[27]. وهذه ميزة ثقافية تخصّ لغتنا الإنسانية من حيث هي مرتبطةٌ في أساسها بصور الحياة، كما تجد في ألعاب اللغة مرونتَها التي تجعلنا قادرين على توظيف الكلمات بحسب مقتضى استعمالها[28].

تحوّلت الفلسفة، مع هذا المعنى، لتأخذ قيمةً تداوليةً تُبيّن الطريقةَ الماهرة والذكية في معالجة الأسئلة، هنا والآن، بوسائلَ تجانسيةٍ تختار الميزانَ الدقيق للسان والاعتدال في الطرح، فيما وراء الاختلال أو الاعتلال الذي يشوّش التمثُّل، أو الأمر الماثل أمام الذات (Darstellung)؛ لذا، لم يخطئ فتغنشتاين عندما عدَّ الحياة متجذرةً في تفاعلات الإنسان بارتباطاته الحياتية العميقة؛ وبالتالي، يكون فرحُ الإنسان وحزنُه ومختلف مشاعره ودرايته بالجانب المظلم من للحياة، ينمُّ عنده عن وجود جانب غامض كامن فينا كما في العالم[29].

في كتابه "الرسالة"، دافع فتغنشتاين عن فكرة إمكان التحكّم باللغة بوضع الحدود لمسألة التعبير عن الفكر ما دامت اللغة ليست سوى رسمٍ للعالم، وأنّ أيَّ شيء خارجها يعدُّ خرافة؛ لكنّه سيتحول، فيما بعد، إلى القول إنّ اللغة واسعةٌ وفضفاضة، وإن للحياة والفكر أبعادًا ومعانيَ كثيرةٌ. بينما تقوم فلسفته المتأخرة على تعدد الخطابات وأشكالها وحقولها، فهناك الحديث عن الحب، والعلم والموضوعية، وعن الدين والأسطورة والثقافة، وكل خطاب له لعبته الخاصة، وبما أن قواعد استخدام الكلمات تخلق طبيعة الواقع، فعلينا فَهم اللعبة حتى نفهم الواقع[30].

كان موقف الرسالة واضحًا في اعتبار ما هو صوفيٌّ لا يقال؛ بحيث لا يمكن اختزالُه في كلمات؛ لكن يمكن إظهاره فقط. فإذا كان لدى شخصٍ تصوّرٌ ما عن السعادة، فإن هذه الصورة وما تمثله تترابط وتتكون داخله، ويتضمن هذا التصوّر إمكانية التعبير عنه في مواقف ظاهرة[31]. علينا أن نعرف كيف تعمل الكلمة والجملة في لعبة اللغة، وذلك قبل أن نفهم ما تعنيه: حلم، أم قصة، أو أمر، أم مشهد معين، وبالتالي استخدام الكلمة على حسب شكل الحياة وصورتها[32].

يقترح فتغنشتاين الصمتَ في حالة المسائل التي لا نستطيع إدراك معناها الحقيقي، غير أنّ بعض يومياته الشخصية[33]، وحتى بعض محاضراته، حطمت هذا الصمت. وأكثر من ذلك، تم التخلص من ثقة

---

[27] Jean Greisch. Vivre en philosophant, expérience philosophique, exercices spirituels et thérapies de l'âme, éd Hermann, coll de Visu Paris, 2015, p.421.

[28] Christiane Chauviré : Le vocabulaire de Wittgenstein. Op., cit, p.33.

[29] Xavier Pavie : Exercices spirituels ; leçons de la philosophie contemporaine. Op., cit, p.78.

[30] Christiane Chauviré : Le vocabulaire de Wittgenstein. Op., cit, p.34.

[31] Wittgenstein Ludwig : Les carnets1914-1916. Op., cit, p.142.

[32] Christiane Chauviré : Le vocabulaire de Wittgenstein. Op., cit, p. 29.

[33] Ibid, p.141.

الرسالة المفرطة في كون أن اللغةَ رسمٌ وحدٌّ للتعبير عن الفكر؛ لتصبح اللغةُ متنوعةَ الخطابات. وسؤاله الأساسي هو: بأي معنى يكون للغة معنى؟

يحصل معناها في استخدامها في حقلها ولعبتها اللغوية، وأن أشكال الحياة ليست منعزلة عن ألعاب اللغة هذه، وتمتد اللغة إلى جذور سلوكيات الإنسان في الحزن والتحية والفرح؛ لذلك، فمعاني التعبيرات التي يستخدمها الناس لا تُوضَع بالكامل في الاستخدام أو التفاعلات التي تسببها بقيامها بوظيفة معينة؛ بل لها إشارات موجودة في خارجها، تمكننا بمرونة اللعب بالكلمات[34]. فإذا كان إدراك القضايا لا يعني فقط ماذا تعني، بل كيف يمكننا استخلاص عدة استنتاجات مما يقال في السياق الواحد، فما النتائج إذا قلتَ شيئًا؟، وما الأسئلة ذات الصلة بهذا القول؟

يبدو، وَفقًا لما سبق، أنّه يتوجّب على المتفلسف، حسب فتغنشتاين، أن يتعلم كيف يستخدم فكرَه لعيشِ حياة جيّدة، وذلك بالتمرّن على ممارسة الفلسفة باعتبارها تمارين روحية تنقلنا من مجرّد وضعية المنظّر للفكر إلى حالة من الاستشفاء الذاتي بالتفلسف بوصفه تمرينًا روحيًّا[35]. ويلزم من ذلك الإقرار بوجود فرق بين المعرفة والممارسة والتمرين الروحي؛ حيث يكون الطفلُ الصغير الذي يتعلم الاستخدام الصحيح لكلمة "ألم"، على سبيل المثال، قد تعلم كذلك استخدام هذه الكلمة في عدّة مناسبات أخرى.

يدفعنا هذا الاستخلاص إلى بحث كيفية ممارسة التفلسف بوصفه نوعًا من التمارين الروحية في مجمل فلسفته وكتاباته المختلفة. فكيف حضرت التمارين الروحية في فلسفة فتغنشتاين؟ وما الآفاق التي تفتحها هذه الممارسة لديه بخصوص مفهوم الفكر عامة والفلسفة خاصّة؟

٣- التفلسف باعتباره تمرينًا روحيًّا لدى فتغنشتاين:

تعد التمارين الروحية طريقةً في التعاطي مع التفكير عامة والفلسفة خاصة قديمةً قدم فعل التفلسف ذاته. فقد كان تفكير الفلاسفة القدامى تمرينًا روحيًّا غرضه تحقيق نوع من الانسجام مع الذات والعالم على حدّ سواء، وكان الطريق إلى ذلك هو البحث عن الطمأنية الداخلية بالتوافق مع العالم الخارجي. كان هذا المطلب هو الذي يحدّد اختيار الفيلسوف / الحكيم لأسلوب حياته الشخصية، أي تلك الطريقة التي يحيا بها الحكيم الفيلسوف ويفلسف بها حياته[36].

[34] Christiane Chauviré : Le vocabulaire de Wittgenstein. Op., cit, p.33.

[35] Hadot Pierre : Exercices spirituelles et philosophie antique. Ed Albin Michel, Paris, 2002, p.386.

[36] Hadot Pierre : Exercices spirituelles et philosophie antique. Op., cit, p.383.

فمثلًا، سقراط ليس فيلسوفًا بأقواله وحكمه مجرّدة عن ممارساته اليومية؛ ولكنّه فيلسوف بطريقةِ عيشِه من خلال أفعاله وبأسلوب حياته. على هذا المنوال، يمكن اعتبار فلسفة الرواق والأبيقورية، مثلًا، مدارسَ حياة أكثر منها مذاهب نظرية؛ حيث يتعلّق التفلسف فيها بالبحث عن السبل والطرائق العملية لتحقيق نمط حياة معتدلة وسعيدة خالية من الألم[37]. فممارسة الفلسفة، هنا، بمختلف الأساليب التي يعتمدها الفيلسوف، هي وصفة علاجية للمصالحة مع ذاته والتحرّر من الوهم والابتعاد عن الآراء الفارغة والأحكام الباطلة.

تُمكّن التمارين الفلسفية الفيلسوفَ / الحكيمَ من تجاوز ذاته نحوَ ما هو أفضل، أي نحو الآفاق الرحبة للفكر والحياة. فإذا كانت الرياضة الفيزيولوجية تقوّي الجسد، فإنّ الرياضة الفلسفية الروحية تقوّي النفس وتعالجها، فهي تجلب السكينةَ والتوازن الداخلي والذاتي. فمنظور الفيلسوف للحرية، والعدالة، والسعادة، والموت، والألم.. الخ، ولكيفية تصريف تصوّراته عمليًّا في اليومي المعيش، هو ما يحدّد قيمة فلسفته وتفكيره.

التفلسف نمطُ وجود الفيلسوف، والفلسفة بهذا المعنى ليست سوى طريقة في الحياة وأسلوب عيش، سواء في سيرته الفكرية أو العملية[38]؛ ووفقًا لذلك، تكون طبيعة الخطاب الفلسفي للفيلسوف مرآةً عاكسة لصيغة حياته وأسلوبه الخاص في التفكير؛ ممّا يلزم عنه تطابق أفكاره مع اختياراته الوجودية. وبهذا المعنى تكون التمارين الفلسفية تمارينَ روحيةً، أي رياضة فكرية.

لكل فيلسوف خطابٌ يخصه وأسلوبٌ يميزه، كان لسقراط، مثلًا، طريقته الخاصّة في الحوار والمحاورة؛ وكان لأبيقور حديقته الفلسفية وطريقة الرسائل، كما لديوجين الكلبي أسلوبه في السخرية وفي نمط عيشه المختلف. كذلك، يمكن للغة أن تكون أسلوبًا علاجيًّا كما الأمر عند فتغنشتاين[39]. لكن كيف ذلك؟ وكيف مارس هذا الأخير تمارينه الروحية من خلال طريقته في التفلسف؟

دشّن فتغنشتاين الفكرَ المعاصر للقرن عشرين برؤية خصبة للفكر واللغة والأخلاق والدين والجمال، معتبرًا مهمةَ الفلسفة مقيّدةً بمعالجة قضايا الحياة من زاوية منطقية لغوية تحليلية. افتتح

---

[37] Ibid, p.367.

[38] يشير اندري كونت-سبونفيل بهذا الخصوص قائلًا: "غالبًا ما نلخّص الفلسفة في أمرين مهمّين، سواء في الفضاء العام أو في الوسط المدرسي، فهي تاريخ مجموعة من الأفكار من جهة، أو هي تمرين للتفكير والتأمل الذاتي من جهة أخرى؛ إلاّ أنّه يمكننا عند الاقتضاء إضافة "الالتزام" بوصفه نوعًا من شمولية السخط الأخلاقي، الذي يسمح بالتدخّل في شؤون العالم "ليهدم الدنيء" بين الفينة والأخرى. إنّنا نعترف في الحال أنّه لا يبدو أنّ أيًّا من هذه التعريفات تجسّد جوهر الفلسفة؛ فحتى لو كان واضحًا أنّها تجمع اليوم بين التعريفات الثلاثة." انظر بهذا الخصوص:

- André Comte-Sponville : La sagesse des Modernes : Dix questions pour notre temps ; éd Robert Laffont, S,A; Paris, 1998, p.223.

[39] Christiane Chauviré : Le vocabulaire de Wittgenstein.Op., cit, p.44.

الفلسفةَ المعاصرة بإصراره على وصف استعمال اللغة استعمالًا واقعيًّا؛ حيث صيّر الممارسة الفلسفية طريقةً في علاج أمراض اللغة، ومن خلالها مشكلات الحياة الأخلاقية والجمالية والدينية بالقول بكونها تنتمي إلى مجال ما يمكن إظهاره لا قوله[40].

صُمّمت بعض أفكاره على شكل تمارين روحية يمكنها أن تساعد المرء على حفظ حياته العقلية والعملية من خلال تحقيق توازن قواه الداخلية[41]. غير أنّه لا ينبغي الخلط بين "التمارينِ الروحية" ذات الحمولة الدينية في التقليد اليهودي المسيحي أو الإسلامي، والمعنى الفلسفيّ الذي مورست به في تاريخ الفلسفة كرياضة فكرية تدفع عن الحكيم توتّرَ الجسد وقلقَ النفس، وتحقّقَ له الانسجام الداخلي والخارجي.

وقد استعمل بيير هادو[42] مفهومَ التمرين الروحي في مؤلفه "التمارين الروحية والفلسفة القديمة"؛ لتقريبِ الرؤى الفلسفيةَ التقليدية لبعض الحكماء القدامى ووصلِها ببعض المحاولات المعاصرة لدى فلاسفة من مثل فتغنشتاين وميشيل فوكو وآخرَيْن[43]؛ وذلك لإبراز الطابع العلاجي والعملي الروحي للفلسفة بوصفها تمرينًا روحيًّا يهتم وينشغل بالذات وبوضعيتها في الحياة، أي في عالم المعيش.

إنّ ما يجعل التمارين الروحية في الفلسفة تخالف أصنافًا أخرى من التمارين الروحية: (الدينية، والشعبية السحرية..،) كونها تمرينًا للفكر والعقل، أي تمرينًا للتوضيح والنقد والتحليل والبحث عن توافق الذات مع العالم، لا طقوسًا واجترار الوصفات الجاهزة؛ لذا، يجنّبُ التمرين الروحي، بما هو تمرين فلسفي، المتفلسفَ الوثوقيةَ والإيديولوجية. إنّ التمارين الروحية تهذيبٌ للذات وتنقيةٌ للنفس من الحزن والقلق والغموض والتيه؛ وبالتالي، فهي طريقة في العيش السعيد.

ترتبط هذه التمارينُ الفلسفيةُ عند فتغنشتاين بكيفية تصوّره للغة وعلاقتها بالفلسفة؛ فالفلسفةُ لديه فاعليةٌ نقديةٌ تحليلية يفترض فيها أن تجعلنا واضحين مع ذواتنا وليس تائهين حائرين خلف الأوهام. ومن هذا المنطلق، نجده حاول منذ البداية أن يتصور اللغة بوصفها جزءًا لا يتجزأ من حياة المتحدثين بها مستخدمًا مفهوم «صورة الحياة». هكذا، جعل مفهوم «صورة الحياة» يماثل فكرة اللغة بوصفها لعبة، وبالتالي إمكانية رؤية لغتنا المطمورة داخل أفق السلوك غير اللغوي[44].

---

[40] تغيبُ معالجةُ المسائل الدينية في أعماله الرئيسة، ويلتزم الصمتُ حيال هذه الأمور؛ ولكن مذكراته الشخصية وبعض محاضراته حطّمت هذا الصمت. انظر بهذا الخصوص: مقدمة ج، جن غرانجي لترجمة اليوميات لفتغنشتاين:

- Wittgenstein Ludwig : Les carnets1914-1916. Op., cit, p.15.

[41] Xavier Pavie : Exercices spirituels ; leçons de la philosophie contemporaine. Op., cit, pp.106-107.

[42] Hadot Pierre : Exercices spirituelles et philosophie antique. Op., cit, p.305.

[43] Michel Foucault : L'herméneutique du sujet. Ed Seuil, Gallimard; Paris, 2001, p.79.

[44] Xavier Pavie : Exercices spirituels ; leçons de la philosophie contemporaine. Op., cit, p.119.

تعد فكرة كون اللغة "صورة الحياة" لدى فتغنشتاين ذات أساس ثقافي في طبيعته[45]؛ ولذلك، فإنّ فَهم مجموعة من الناس لصورة حياتهم يعني إجادة الألعاب اللغوية الضرورية لممارستهم اللغوية الخاصة. لكن، نحن لا نصلُ إلى صورة العالم لدينا عن طريق الاقتناع بصحتها، وإنما عن طريق كوننا تربّينا عليها؛ وبالتالي فإنّ محاولة التسويغ والمحاججة التي نقوم بها للاقتناع بمعتقداتنا الخاصّة لا يمكنها أن تحدث إلا داخل نسق، ويجب أن نتذكر أن لعبة اللغة تقول شيئًا لا يمكن التنبؤ به، أي أنها لا تقوم على أسس ليست معقولة أو غير معقولة، وإنّما توجد مثل حياتنا.

ولئن كانت الرسالة تؤكد على أن للّغة ماهية فريدة قابلة للاكتشاف، ولها منطق تحتي وحيد يمكن تفسيره عن طريق تحليل بنية اللغة والعالم، فإن فتغنشتاين المتأخر يرفض أن يكون للغة منطقٌ وحيد؛ إذ ليست للغة ماهية واحدة، وإنّما ممارسات لغوية مختلفة ولكل ممارسة منطقها الخاص. وتوجد لدى فتغنشتاين طريقتان في استخدام اللغة: الأولى خارجية، وتتمثل في التعامل مع العلامات، والأخرى داخلية تتمثل في فهم هذه العلامات.

تكمن مهمة الفيلسوف حسب هذا المنظور في حسن التعامل مع ألاعيب اللغة عن طريق التفطن إلى فخاخ النحو في الاستعمال الداخلي والخارجي للغة. وأن نهتم باللغة على أنها عملية خاضعة للقواعد البيّنة؛ لأن المشكلات الفلسفية عبارة عن سوء فهم يزيله توضيح القواعد التي نستعمل الألفاظ بموجبها، وهنا تتحدد الفلسفة لا بوصفها مجرّد تفكير نظري، وإنمّا بوصفها ممارسةً علاجية[46] باعتبارها مقاومةَ فتنةِ تفكيرِنا بوساطة لغتنا.

لم يعد المهم بالنسبة إلى الفلسفة والمنطق أن نبيّن ما القضايا الصادقة والقضايا الكاذبة في علاقتها بالواقع؟، بقدر ما يهم النحو (قريب من علم الدلالة) باعتباره ما سيمكِّننا من تمييز القضية ذات المعنى من القضية عديمة المعنى، فالفلسفة قبل كل شيء مقاومةُ الفتنة التي تُحدثها فينا بعضُ أشكال التعبير. ومتى تحقّق إنزالها من تعاليها المفارق إلى أرضية واقعية التحليل اللغوي، تُحقّق بذلك نمطًا خاصًّا من التفلسف هو بمثابة تمرين في الحياة وليس تجريدًا عقليًّا[47].

ليست سببُ المشكلات الفلسفية نقصًا في المعرفة، وإنّما الخلط والتراكم غير المنتظم للمستويات؛ أمّا اللغة فتبقى مع ذلك الطريق الممكن إلى المعرفة باعتبارها وسيلةً لفهم تكوين المعنى في

[45] Christiane Chauviré : Le vocabulaire de Wittgenstein. Op. cit, p.29.

[46] Cometti Jean-Pierre : Philosophie avec Wittgenstein. Ed puf, Paris, 1996, p.225

[47] Wittgenstein Ludwig : Leçons et conversations. Ed Gallimard, coll folio essais, 1992, p.155.

الكلام والخطابات؛ لكن، نظرًا لعلاقة التضمن والتوازي بين اللغة والتفكير فإنّه لا سبيل إلى التفكير والمعرفة والفهم من دون اللغة؛ إذ إنّ كلّ شيء يحدث داخلها[48].

جعل هذا الأمر فتغنشتاين يعدُّ طبيعةَ اللغة تتمثل في مجموع الألعاب اللغوية الممكنة التي تسمح بها؛ وبالتالي فإنّ أوجه الاستعارة فيها متعددة مثلما تحتوي اللعبةُ على قواعد مختلفة كذلك اللغة لها ألعابها. فلئن كانت هذه اللغةُ مكونةً من الألفاظ كما اللعبة تتكوّن من قطع وأشكال، فلأنّها بدورها نظامٌ يأخذ فيه كل لفظ مكانه باعتبار محيطه، تمامًا مثلما تكتسب كل قطعة أو شكل في اللعبة قيمتها من القطعة الأخرى؛ لهذا، فإن كلًّا من اللغة واللعبة يعدان مؤسسات اجتماعية ثقافية[49].

تَرتّبَ عن التصوّر السابق اعتبارَ "معنى الحياة" يقع خارج نطاق ما يقال؛ وبالتالي سوف يُشار إلى معنى الحياة على أنّه لغز يتعذّر حلّه وإنّما يعاش فقط. ويتقاطع فجنشتين في هذه الفكرة مع كيركيجارد الذي كان يعد معنى الحياة تعاش بوصفها تجربة وجودية، وليس قضيةً من قضايا المنطق أو مقولةً من مقولات الفكر كما تزعم ذلك المثالية الألمانية. لكن كيف يمكن التوفيق بين الحكمة والحياة؟ وكيف نحترم هذا الجزء غير المقول؟

ولّدت لديه فكرةُ عدم القدرة على التعبير عمّا هو عميق في الحياة: (الدين، الموت، السعادة) نزعةً صوفية جعلتْه يدعو إلى نوع من الصمت والسكوت عمّا لا نستطيع قوله[50]. فالغموض واللبس اللذان نقع فيهما ناجمان عن عدم التزامنا بحدود اللغة والصمت حيث لا يمكن التحدّث بوضوح. إنّ مشكلة الغموض عندنا يرتد إلى عدم صبرنا على الفراغ الذي يتركه الصمت لدينا بخصوص القضايا التي لا نستطيع التعبير عنها بوضوح.

هكذا؛ إذا كان على اللغة أن تكفي ذاتها بذاتها، فكذلك يتوجب علينا، نحن الذين نستعملها، أن نقتنع بالصمت حيث يجب؛ وبالتالي ممارسة التفلسف الحقيقي الذي هو ليس سوى ممارسة روحية للفلسفة. لقد جعله التصوف الذي انتهى إليه في "الرسالة" قادرًا على التوقّف عن التفلسف حيث يلزم الصمت؛ لذلك مارس الصمت بوصفه تمرينًا فكريًّا روحيًّا[51].

---

[48]Wittgenstein Ludwig : Tractatus logico-philosophicus. Op. cit, p.93.

[49] Xavier Pavie : Exercices spirituels ; Op., cit, p.135.

[50] Wittgenstein Ludwig : Les carnets1914-1916. Op., cit, p.166.

[51] Wittgenstein Ludwig : Wittgenstein (L): Recherches philosophiques; tr Françoise Dastur, Maurice Élie, Jean-Luc Gautero, Dominique Janicaud, Élisabeth Rigal éd tel Gallimard, paris, 2004. §123.

تعدّ استعارةُ رمي السلّم لدى فتغنشتاين علامةً دالة على ممارسة التفلسف بوصفه حكمة عملية من خلال الركون للصمت[52]. لا يمكن للفلسفة بهذا المعنى إلاّ أن تكون تمرينًا روحيًّا يتخطّى ضيق أفق النزعات الفلسفية الكلاسيكية التي كانت تعتقد في نجاعة التصوّرات العقلانية والمثالية[53]. إنّ هذه الحكمة الصوفية هي ما حدا بهذا الأخير إلى الاعتقاد بأهمية الاحتياط في التحليل الفلسفي للفكر بما هو معالجة لغوية لأفكار حول العالم؛ وبالتالي الدعوة الصريحة إلى ترك الفلسفة والدخول إلى حكمة صامتة (Sagesse silencieuse) في "الرسالة"[54].

اعتقد فتغنشتاين، بدايةً، أنّه حلّ مشكلات الفلسفة الكبرى كلها في هذا الكتاب، وبالتالي لم يعد هناك مزيدٌ لما يمكن أن يُقال، وقد أدى به هذا المعتقد (الوثوقي) إلى انقطاعه عن الاشتغال بالفلسفة، ومن ثمّ تفرّغ لتدريس الصغار في بعض القرى النمساوية ليطبق بعض نظرياته التربوية (1920 / 1926). ثم انصرف، بعد ذلك، إلى بعض الأعمال الصغيرة: فاشتغل بوابًا وعاملًا في حديقة أحد الأديرة، ثمّ مهندسًا معماريًّا بارعًا؛ حيث أنجز بيتًا لإحدى أخواته[55]. ثمّ عاد مرّة أخرى بعد سنة 1928 للبحث الفلسفي الذي سيتوّج بكتابه "أبحاث فلسفية" الذي لم ينشر إلا بعد وفاته؛ غير أنّه قد أُنضِجت هذه الفلسفة قبل "التحقيقات" فيما سيعرف بالدفترين "الأزرق" و"البني"، ويضاف إلى ذلك كتابه "ملاحظات في أسس الرياضيات"[56].

تتميّز فلسفته المتأخرة بكثرة الموضوعات المطروقة وتعددها، فمن الحديث عن الدين والعلم والموضوعية إلى الكلام عن الأسطورة والثقافة والجمال والأخلاق والدين، كان فتغنشتاين يمارس التفلسف حول هذه القضايا كلها، آخذًا بالاعتبار أنّ كلّ حديث عن موضوع له لعبته الخاصة في خطابه. وبما أن قواعد استخدام الكلمات تخلق طبيعة الواقع؛ فإنّه يتوجب علينا كذلك فهم ألعاب اللغة لكي نفهم من خلالها ماذا يجري في الواقع[57].

لقد كان تصوّر الرسالة واضحًا لما هو صوفي؛ حيث ما لا يمكن قوله لا يمكن اختزاله في كلمات، وإنّما يمكن إظهاره فقط. إذا كان لدى شخصٍ ما تصوّرٌ عن الإله، فإن هذه الصورة وما تمثله تترابط وتتكون بداخل هذا الشخص؛ وبالتالي إمكانية إظهاره في مواقف معيّنة. وسيتحوّل هذا الإظهار في مرحلة

---

[52] Hadot Pierre : Exercices spirituelles et philosophie antique. Ed Albin Michel, Paris, 2002, p.384.

[53] Wittgenstein Ludwig : Tractatus logico-philosophicus; op. cit., (§5, 61), p. 93

[54] Hadot Pierre : Exercices spirituelles et philosophie antique. Op., cit, p.385.

[55] لم يكن فتغنشتاين فيلسوفًا فقط، وإنّما بالإضافةِ إلى ذلك، عَمِلَ حارسًا لأحد البساتين وحاملًا للأغراض الطبية في مستشفى، ولا ننسى أنّه كان المهندس الذي صمَّمَ بيت أخته مارجريت في "كوندمانغاس" (Kundmangasse)؛ بل انعكست عنايته بأدقّ التفاصيل في أعماله الهندسية والمعماريّة كما في الأفكار التي تناول بها مسألة الفن والفلسفة والدين في كتابه الأول: "رسالة منطقية فلسفيّة".

[56] Christiane Chauviré : Le vocabulaire de Wittgenstein. Op. cit, p.34-35.

[57] Cometti Jean-Pierre : Philosophie avec Wittgenstein. Op. cit, p.77.

الأبحاث إلى القول إنّ ما نعرف عن كلمة أو جملة أو عبارة يتم من خلال استعمالنا لها بحسب سياق الاستعمال. ويلزم هنا معرفة كيف تعمل كلمة أو عبارة ما في لعبة وليس فقط فَهم ما تقوله، ذلك أنّ سياق استخدامها هو ما يحدّد دلالتها أيضًا.

يقع هذا النمط من التفلسف على نقيض التقليد الفلسفي الكلاسيكي الممتد حتى أفلاطون وأرسطو. إنّه مشروع مضادٌ للفلسفة من حيث هي نمط تفكير يرى اللغة حيث هي كلمات تستمد معانيها من قيامها مقام أشياء. كما يسقط القول إن الكلمات تستمد معانيها من الترابط بين أفكار الذهن؛ ويحارب كذلك تقليدًا يَشرُط اكتساب الكلمة للمعنى بوجود جوهر ما تعبر عنه هذه الكلمة. فوفقًا لهذه الرؤية الأخيرة إذا كان باستطاعتنا أن ندعو أشياءَ كثيرةً ألعابًا؛ فذلك لأنها تملك سمة جوهرية تميز اللُعب وتشترك فيها جميعًا. إنّ أفكار فتغنشتاين حول اللغة تنبع من هجوم الجَذري الذي شنه على التقليد الفلسفي القائم قبله.

على سبيل الختم:

إذا كان فتغنشتاين واثقًا في كتابه "الرسالة" من إمكانية تطويق اللغة ووضع حدود للتعبير عن الفكر، والقول إنّ أيّ شيء خارج هذا العالم مجرد هراء؛ فإنّه سيتحول فيما بعد إلى اعتبار اللغة واسعةً وفضفاضةً، وأنّ للحياة والفكر أبعادًا ومعانيَ كثيرة. تلك الأبعاد الكثيرة والخفية هي نفسها الأبعاد الروحية والدينية التي لا نستطيع كشفها بلغة واضحة قابلة للتحقيق المنطقي والحساب القضوي، وإنها تنكشف فقط من خلال تجارب حياة هي ما يمكننا اعتبارها تمارينَ روحيةً لدى فتغنشتاين.

وما يدعونا إليه هذا الفيلسوفُ هو التفكير كممارسة للحياة وليس التنظير للفكر من خلال المقولات القبلية أو المفاهيم الثابتة. وتقع هذه الدعوة في صلب نموذجه الفلسفي وهو الحذر بخصوص استعمال اللغة ليس فقط للتعبير عن حالة الأشياء كما في الرسالة، ولكن أيضًا من أجل الفعل والممارسة والتمرين في صلب الحياة. فإذا استحضرنا التنوع الهائل في أنواع الألعاب المختلفة: (ألعاب الطاولات، والألعاب الأولمبية، وألعاب القمار، وألعاب الكرة)؛ فإنّ ما سنجده هو أنه لا يوجد أي جوهر فريدٍ للُعب، لا يوجد شيء واحد تشترك فيه الألعاب كلّها بما في ذلك الألعاب اللغوية؛ لأنّ كل ما هنالك ليس سوى سلسلة من التشابهات المتقاطعة والمتداخلة.

إنّ ما لا يمكن قوله ويمكن إظهاره فقط، كما دعا إلى ذلك في الرسالة، هو نفسه المشروع الذي سينكب على إتمامه في مرحلة ثانية من فلسفته؛ حيث سيأخذ التحليلُ اللغوي من خلال نموذج الألعاب اللغوية دورًا محوريًّا في جعل قضايا الدين والأخلاق والتصوف والجماليات تمارينَ لغويةً سيضطلع التحليلُ بمهمة طبّية علاجية تزيل اللبس والغموض من خلال تحييد الاستعمالات الخاطئة للكلمات.

هكذا؛ يتضح ممّا سبق أنّ مهمة الفلسفة ليست استبصار الطبيعة المتعالية للواقع والحقيقة، وإنما فقط الاشتغال بوصف الكيفية الفعلية التي نستعمل بها تعبيرات مثل "واقعي" و"حق". وبحسب هذا الموقف، يصحّ القول إنّه لو أردنا فَهم نوع معين من الخطاب، مثل: الخطاب الديني أو الصوفي أو الجمالي، فما علينا سوى النظر إلى الدور الذي يلعبه فعليًّا هذا الخطاب في حياة الناس.

وفقًا لذلك، يتوجّب على الفلسفة أن تنخرط في اللعبة اللغوية لإظهار ما نفعله في الحياة من تمارين روحية. ينبغي للفلاسفة أن يصفوا تلك الكيفيات التي تُستعمل بها الكلمات بطريقة تمكننا من ممارسة تمارين روحية؛ كما ينبغي لهم التخلي عن فكرة أن للفلسفة مهمة خاصة في توفير شروح أو تسويغات تتجاوز اللغة المستعملة في ذلك.

البيبلوغرافيا

مراجع كتبية:

- André Comte-Sponville : La sagesse des Modernes : Dix questions pour notre temps ; éd Robert Laffont, S,A; Paris, 1998.
- Bouveresse Jacques: Wittgenstein; la rime et la raison. Ed de Minuit, Paris, 1973.
- Cometti Jean-Pierre : Philosophie avec Wittgenstein. Ed puf, Paris, 1996.
- Christiane Chauviré : Le vocabulaire de Wittgenstein. Ed ellipses, coll dirigée par J.P. Zarder, Paris, 2015.
- Jean Greisch. Vivre en philosophant, expérience philosophique, exercices spirituels et thérapies de l'âme. Ed Hermann, coll de Visu Paris, 2015.
- Hadot Pierre : Exercices spirituelles et philosophie antique. Ed Albin Michel, Paris, 2002.
- Luc Ferry: La sagesse des Modernes : Dix questions pour notre temps ; éd Robert Laffont, S,A ; Paris, 1998.
- Michel Foucault : L'herméneutique du sujet. Ed Seuil, Gallimard; Paris, 2001.
- Soulez Antonia: Comment écrivent les philosophes ?(de Kant à Wittgenstein). Ed Kimé, Paris, 2003.
- Wittgenstein Ludwig: Tractatus logico-philosophicus ; tr G. G. Granger, éd Gallimard, coll (tell), Paris, 1993
- Wittgenstein Ludwig : Les carnets1914-1916. Tr G.G. Granger, éd Gallimard, coll « tel », Paris, 1983.
- Wittgenstein (L): Recherches philosophiques; tr Françoise Dastur, Maurice Élie, Jean-Luc Gautero, Dominique Janicaud, Élisabeth Rigal éd tel Gallimard, paris, 2004.
- Wittgenstein Ludwig : Leçons et conversations. Ed Gallimard, coll folio essais, 1992.
- Xavier Pavie: Exercices spirituels; leçons de la philosophie contemporaine. Ed les Belles lettres, Paris, 2013.

مقالات:

- Erich Heller; « Wittgenstein and Nietzsche », in: Portraits of Wittgenstein; volume 4, Edited and Introduced by F.A. Flowers, Published by Thoemmes press, 1999.

مقالات على الشبكة العنكبوتية:

- Archana Barua, « Wittgenstein, Language-Games, and Religion »; cette article se trouve dans le site suivant: http://wittgensteinrepository.org/agora-alws/article/view/2459/2642.